الفنار

— ١ —

إِذَا كُنْتَ قَدْ ذَهَبْتَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَصَايِفِ الْبَحْرِيَّةِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّكَ زُرْتَ الْفَنَارَ أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ شَاهَدْتَ ضَوْءَهُ الْقَوِيَّ يَنْتَشِرُ فِي الْأُفُقِ إِلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ فِي الْبَحْرِ . فَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ فَنَارٍ بُنِيَ فِي الْعَالَمِ كَانَ فِي مَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْفَنَارَ كَانَ إِحْدَى عَجَائِبِ الدُّنْيَا السَّبْعِ ؟ وَالْآنَ فَاسْمَعْ قِصَّةَ بِنَاءِ ذَلِكَ الْفَنَارِ :

لَمَّا فَتَحَ إِسْكَنْدَرُ الْمَقْدُونِيُّ مِصْرَ صَمَّمَ عَلَى أَنْ يَبْنِيَ مَدِينَةً عَظِيمَةً تَحْمِلُ اسْمَهُ ، فَاخْتَارَ بُقْعَةً جَمِيلَةً عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ ، لِيُقِيمَ عَلَيْهَا مَدِينَتَهُ الْخَالِدَةَ . وَدَعَا الْمُهَنْدِسَ الْمِعْمَارِيَّ الْعَظِيمَ دِينُوكْرَاتِيسَ (Dinocrates) مِنْ مَقْدُونِيَا وَطَلَبَ مِنْهُ وَضْعَ تَصْمِيمٍ لِإِنْشَاءِ هٰذَا الْبِنَاءِ الْعَظِيمِ ، وَالْقِيَامَ عَلَى تَنْفِيذِهِ .

وَكَانَ عَلَى بُعْدِ مِيلٍ تَقْرِيبًا مِنَ الشَّاطِئِ جَزِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُسَمَّى فَارُوسَ (Pharos) أَوْصَلَهَا دِينُوكْرَاتِيسُ بِالْبَرِّ بِبِنَاءِ جِسْرٍ عَظِيمٍ . وَكَانَ يُسَاعِدُ دِينُوكْرَاتِيسَ فِي عَمَلِهِ مُهَنْدِسٌ آخَرُ مِنْ تَلَامِيذِهِ يُسَمَّى سُوسْتَرَاتُسَ (Sostratus) . وَكَانَ هٰذَا الْأَخِيرُ قَدْ خَطَبَ فَتَاةً حَسْنَاءَ مِنْ أَثِينَا وَلَمَّا اقْتَرَبَ مَوْعِدُ الزَّوَاجِ سَافَرَتْ مَعَ وَالِدَيْهَا إِلَى مِصْرَ ، وَكَانَ الْبَحْرُ هَادِئًا طُولَ مُدَّةِ السَّفَرِ ، إِلَّا أَنَّهُ اضْطَرَبَ وَهَاجَ عِنْدَ مَا اقْتَرَبَتِ السَّفِينَةُ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَةِ ، وَخَيَّمَ الظَّلَامُ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مَنْ بِالسَّفِينَةِ مِنْ رُؤْيَةِ مَا حَوْلَهُمْ . وَارْتَطَمَتِ السَّفِينَةُ بِالصُّخُورِ وَتَكَسَّرَتْ وَغَرِقَتِ الْعَرُوسُ وَمَنْ مَعَهَا فَحَزِنَ سُوسْتَرَاتُسُ حُزْنًا عَمِيقًا عَلَى خَطِيبَتِهِ ، وَتَرَكَ عَمَلَهُ ، وَصَارَ يَقْطَعُ الْوَقْتَ هَائِمًا يَنْظُرُ إِلَى الْبَحْرِ وَالْأَمْوَاجِ وَيَذْرِفُ دَمْعَهُ مِدْرَارًا لِهٰذِهِ الذِّكْرَى الْمُؤْلِمَةِ .

لَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْمَأْسَاةُ سَبَبًا فِي بِنَاءِ أَوَّلِ فَنَارٍ فِي الْعَالَمِ فَإِنَّ دِينُوكْرَاتِيسَ لَمَّا وَجَدَ تِلْمِيذَهُ وَمُسَاعِدَهُ قَدْ هَجَرَ الْعَمَلَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِلْأَحْزَانِ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ نُصْبًا تَذْكَارِيًّا لِخَطِيبَتِهِ فِي شَكْلِ مَنَارَةٍ بَيْضَاءَ عَالِيَةٍ عَلَى جَزِيرَةِ فَارُوسَ يَنْبَعِثُ مِنْ أَعْلَاهَا لَهَبٌ قَوِيٌّ يُضِيءُ جَوَانِبَ

الشاطىء وَيكشِفُ الصُّخُورَ الخَطِرَةَ لِلبَحَّارَةِ وَالمُسَافِرِينَ . وَقَدْ أُعْجِبَ سُوسْتَرَاتُسْ بِالفِكْرَةِ ، فَأَخَذَ يَضَعُ تَصْمِيماً لِمَنَارَةٍ هَائِلَةٍ ، لاَ لِتَكُونَ مُرْشِداً وَهَادِياً فَقَطْ لِلمَلاَّحِينَ ، بَلْ لِتَكُونَ تَذْكَاراً خَالِداً لِخَطِيبَتِهِ المَفْقُودَةِ . وَقَدْ شَجَّعَهُ عَلَى المُضِيِّ فِي عَمَلِهِ المَلِكُ بَطْلَيْمُوسُ الَّذِي حَكَمَ بَعْدَ إِسْكَنْدَرَ الأَكْبَرِ ، إِذْ قَالَ لَهُ : « لاَ تُفَكِّرْ فِي الإِتْقَانِ وَالتَّكَالِيفِ ، بَلْ فَكِّرْ فَقَطْ فِي أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ عَظِيماً وَجَمِيلاً . »

وَتَدُلُّ الوَثَائِقُ التَّارِيخِيَّةُ القَدِيمَةُ عَلَى أَنَّ هٰذَا

أول فنار شيده الرومان على قلعة دوفر بانجلترا

الفَنَارَ بُنِيَ مِنَ الحَجَرِ الأَبْيَضِ النَّقِيِّ ، وَكَانَ ارْتِفَاعُهُ أَرْبَعَمِائَةِ قَدَمٍ ، وَكَانَ مُكَوَّناً مِنْ عِدَّةِ

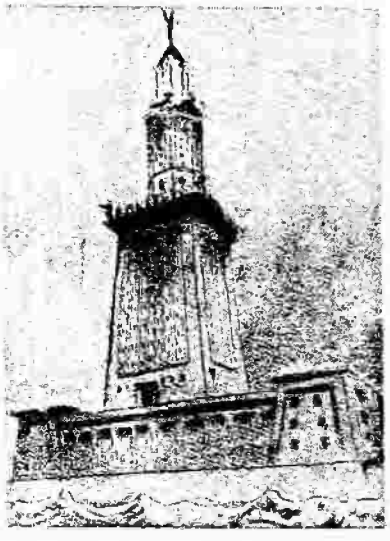

أول منارة فى العالم — منارة الاسكندرية

طَبَقَاتٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ اضْيَقُ مِنَ التِي تَحْتَهَا . وَكَانَ بِالطَّبَقَاتِ العُلْيَا فَتَحَاتٌ مُطِلَّةٌ نَحْوَ البَحْرِ ، بِهَا مَشَاعِلُ قَوِيَّةٌ يَنْبَعِثُ مِنْهَا ضَوْءٌ يُنِيرُ جَوَانِبَ البَحْرِ فِي اللَّيْلِ . وَكَانَ بِالطَّبَقَةِ العُلْيَا شَبَكَةٌ حَدِيدِيَّةٌ فِيهَا نَارٌ مُوقَدَةٌ تَرَاهَا السُّفُنُ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَكَانَ يَقُومُ بِالسَّهَرِ عَلَى هٰذِهِ النَّارِ وَالمَشَاعِلِ حُرَّاسٌ هُمْ أَوَّلُ حُرَّاسِ الفَنَارَاتِ فِي العَالَمِ . وَكَانَ البِنَاءُ مُضَلَّعَ الشَّكْلِ . وَبَلَغَتْ تَكَالِيفُهُ نَحْوَ ١٥٠٫٠٠٠ مِنَ الجُنَيْهَاتِ . وَقَدْ بَقِيَ هٰذَا الأَثَرُ قَائِماً أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ،

حَتَّى تَهَدَّمَ بِفِعْلِ هَزَّةٍ أَرْضِيَّةٍ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ .

وَقَدِ انْتَقَلَتْ فِكْرَةُ بِنَاءِ الْفَنَارَاتِ مِنْ مِصْرَ : فَأَقَامَ الرُّومَانُ فِي إِنْجِلْتِرَا أَوَّلَ فَنَارٍ عَلَى قَلْعَةِ دُوفَرَ ، وَلاَ يَزَالُ يُسَمَّى لِلآنَ فَارُوسَ (Pharos) ، وَهُوَ اسْمُ جَزِيرَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ . وَكَلِمَةُ فَنَارٍ فِي الْفَرَنْسِيَّةِ (Phare) مُشْتَقَّةٌ أَيْضاً مِنْ (Pharos) .

وَهٰكَذَا تَذَكَّرْنَا (فَارُوسَ) الإِنْجِلِيزِيَّةَ وَ (فَارَ) الْفَرَنْسِيَّةَ بِأَوَّلِ فَنَارٍ اقِيمَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَرِيباً مِنْ مَصَبِّ النِّيلِ الْعَظِيمِ ، وَتَذَكَّرْنَا أَيْضاً بِحُبِّ سُوسْتْرَاتُسَ الْعَمِيقِ وَوَفَائِهِ النَّادِرِ لِخَطِيبَتِهِ الْمَفْقُودَةِ .

سمير يذهب الى استانبول

— ١ —

أَخِي عَلِي ،

مَا أَحْلَى هٰذِهِ الرِّحْلاَتِ وَمَا أَحَبَّهَا إِلَى نَفْسِي . كَمْ هُوَ جَمِيلٌ ذٰلِكَ الصَّيْفُ الَّذِي يُهَيِّءُ لِي تِلْكَ الْفُرْصَةَ السَّعِيدَةَ الَّتِي أَرَى فِيهَا بِلاَداً جَدِيدَةً ، وَأَقْوَاماً مُتَبَايِنَةً فِي الْجِنْسِيَّاتِ وَاللُّغَاتِ وَالْعَادَاتِ . كَانَتْ رِحْلَةُ الْبَحْرِ فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ قَصِيرَةً جِدًّا ، فَقَدْ أَبْحَرْنَا مِنَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ بَعْدَ ظُهْرِ الإِثْنَيْنِ فَإِذَا بِنَا فِي مِينَاءِ « بِيرِيه » بِجِوَارِ أَثِينَا فِي السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مِنْ صَبَاحِ الأَرْبِعَاءِ . لاَ شَكَّ أَنَّ هٰذَا أَقْصَرُ طَرِيقٍ بَحْرِيٍّ يَصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أُورُبَّا . عَلَى أَنِّي فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ حِينَ نَزَلْتُ إِلَى هٰذَا الْمِينَاءِ أَنَّنِي فِي جَوِّ أُورُبِّي مُطْلَقاً ، فَالطَّقْسُ حَارٌّ كَالطَّقْسِ عِنْدَكُمْ أَوْ أَشَدُّ حَرَارَةً ، وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَرِنُّ فِي آذَانِنَا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُمَّالِ وَالْبَاعَةِ وَالْحَمَّالِينَ ، وَأَكْثَرُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي حَنِينٍ زَائِدٍ عَنْ مِصْرَ الَّتِي عَاشُوا فِيهَا مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، وَيَأْسَفُونَ أَشَدَّ الأَسَفِ عَلَى فِرَاقِهَا .

اسْتَبْدَلْنَا بِبَعْضِ نُقُودِنَا نُقُوداً يُونَانِيَّةً يُطْلِقُونَ عَلَيْهَا دِرَخْمَات ، وَمُفْرَدُهَا دِرَخْمَة ، وَهِيَ تُعَادِلُ مِنْ نُقُودِنَا مِلِّيماً وَنِصْفَ مِلِّيمٍ تَقْرِيباً .

طُفْنَا قَلِيلاً فِي شَوَارِعِ الْمِينَاءِ ، وَلٰكِنَّنَا لَمْ نَجِدْ فِيهَا مَا يَسْتَحِقُّ الْبَقَاءَ طَوِيلاً : فَالْجَوُّ حَارٌّ كَمَا قَدَّمْتُ ، وَالشَّوَارِعُ ضَيِّقَةٌ وَمَرْصُوفَةٌ بِالأَحْجَارِ ، وَهِيَ فِي مَجْمُوعِهَا أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِالشَّوَارِعِ